

الإعلام وسؤال القيم

د. محمد ابراهيمي (المغرب)

تقديم:

يعرف العالم تحولات عميقة في بنياته الاجتماعية والثقافية، ساهم الإعلام بقسط وافر منها، فبعد الثورة التي حققها بظهور الأقمار الصناعية، وما تلاها من ظهور وسائل تقنية مكنت من تحقيق التواصل بشكل يسير، وتقريب المسافات بين الأقطار والبلدان، وإزالة الحواجز الثقافية والسياسية أمام الأفكار والقيم والثقافات، بعد هذه الثورة عرف العالم مع بداية الألفية الجديدة مرحلة جديدة لثورة نوعية في عالم الاتصال الاجتماعي، خاصة مع ظهور ما يسمى " بالفايس بوك، والتويتر، والواتساب، والفايبر" ... اتصال مكن من تحقيق عملية تفاعل بين مختلف فئات المجتمع، وفي مقدمتهم الشباب، وأتاح الفرصة لهم لاختيار المعلومة التي يريدونها متى شاءوا، وبالشكل الذي يريدون، وأزاح سلطة الرقابة السياسية، والأمنية، والاجتماعية من طريقهم، كما تحقق اندماج غير مسبوق بين وسائل الاتصال السمعي والبصري، ساهم بدوره في توسيع وعميق عملية الإغراء والتسويق للمنتجات المادية والقيمية والثقافية التي تعرضها وسائل الإعلام.

وقد نتج عن هذا التطور السريع في بنية الاتصال ووسائله، وأدواته وتقنياته، تحول كبير في سلطة وأدوار مؤسسات المجتمع وهيئاته، وتغيير في سلطات هذه المؤسسات وأدوارها ووظائفها، خاصة في عملية التنشئة على القيم، وفي طبيعتها.

ويتتبع الاستعمالات لوسائل الاتصال، خاصة الحديث منها من طرف الشباب، يمكن الوصول إلى نتائج تفيد الارتفاع الكبير في الإقبال على مواقع التواصل الاجتماعي، والتفاعل المتواصل مع الأحداث الاجتماعية والسياسية والقيمية في عالم الافتراض الذي أتاحتها هذه الصفحات، إلى درجة جعلت منها فاعل مؤثر في موازين القوى، وفي توجيه الأحداث السياسية، وتشكيل منظومة القيم الجديدة لدى الشباب، كما يمكن إدراك الاستعمال السلبي لهذه الصفحات، والإدمان الكبير عليها على حساب الكثير من المهام

الوظيفية، والالتزامات التعليمية والاجتماعية في واقع الحياة، وهو ما ستحاول هذه الصفحات بيانه بعد الوقوف عند طبيعة مؤسسات الإعلام الحديث، ودورها في تشكيل منظومة قيم ذات أبعاد وحمولة مرجعية، تنهل من نموذج ثقافي يرتبط بالبيئة التي تشكلت فيها وسائل الإعلام الحديث.

1: في تعريف الإعلام:

جاء في تعريف الإعلام أنه التبليغ والإبلاغ أي الإيصال، ومنه يقال: بلغت القوم بلاغا أي أوصلتهم الشيء المطلوب، والبلاغ ما بلغك أي وصلك، وفي الحديث: "بلغوا عني ولو آية"، أي أوصلوها غيركم وأعلموا الآخرين، وأيضا: "فليبلغ الشاهد الغائب" أي فليعلم الشاهد الغائب، فالإعلام لا يقتصر على مجرد الإخبار، بل يتقارب مع معنى الدعوة، فالدعوة لغة النداء والإعلام والإبلاغ. والداعية: هو كل من يدعو الناس إلى قيم الخير والصلاح، مادته الكلمة، ومضمونها فكرة، قال الله تعالى: " ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون، ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار" 2/24 إبراهيم.

فالإعلام مادته الكلمة، التي تتنوع من حيث الطبيعة، بين المخطوطة المرسومة، والمتجسدة في صور ورسوم، ومقاطع وأفلام، غايتها تبليغ رسالة، وترسيخ قيمة وفكرة لدى الأخر، وتعريف بقضايا العصر وبمشاكله وتحدياته، ومعالجة لهذه القضايا في ضوء المبادئ والقيم التي ينطلق منها الأفراد والجماعات، والهيئات والمؤسسات، باعتماد الوسائل التقنية المتاحة.

فمن خلال الإعلام يتم نقل المعلومات والمعارف والقيم والثقافات الفكرية والسلوكية، ومعالجة القضايا، بواسطة أدوات ووسائل تقنية إخبارية وتواصلية، وفي مقدمتها الوسائل الرقمية التي عرفت في الآونة الأخيرة تطورا ملموسا، وتحولا نوعيا، جعل لها سلطة قوية تتجاوز سلطة المؤسسات التقليدية التي تساهم في تنشئة الأجيال والتربية على القيم، حيث أعادت ترتيب الأدوار الاجتماعية بين الفاعلين في المجتمع، ورسخت قيما جديدة، وأتاحت فرصا وإمكانات هائلة للتواصل الأسرع والأقرب والأشمل، الذي أعطى للإنسان القدرة على الوصول للمعلومة المطلوبة بدون حواجز، في الوقت الذي يريد، وبالكيفية التي يريد، وفي المكان

الذي يريد، ثم مكنه من التفاعل كما يحدث في عالم الواقع من تواصل مباشر يسوده التفاعل بين أطراف العملية التواصلية، وهي ميزة الإعلام الجديد الإعلام الجديد.

وهي خاصية جديدة " لا يوفرها الإعلام القديم وهي التفاعل والاستجابة لحديث المستخدم تماماً كما يحدث في عملية المحادثة بين شخصين، . وهي - خاصية أضافت بعداً جديداً مهماً إلى أنماط وسائل الإعلام الجماهيري الحالية التي تتكون في العادة من منتجات ذات اتجاه واحد يتم إصدارها من مصدر مركزي مثل الصحيفة أو قناة التلفاز أو الراديو إلى المستهلك مع إمكانية اختيار مصادر المعلومات والتسليم متى أرادها وبالشكل الذي يريده" ¹

وقد ساعد انتشار هذا النوع من الإعلام العديد من العوامل:

منها التقني المتمثل في التطور المتسارع والمستمر في تكنولوجيا الحاسوب وبرامجه وتجهيزاته، والهواتف وبرامجها وتطبيقاتها، " ولاسيما ما يتعلق بالأقمار الصناعية وشبكات الألياف الضوئية، فقد اندمجت هذه العناصر التكنولوجية في توليفات اتصالية عدة إلى أن أفرزت شبكة (الإنترنت) التي تشكل حالياً لكي تصبح وسيطاً يطوي بداخله جميع وسائط الاتصال الأخرى: المطبوعة والمسموعة والمرئية، وكذلك الجماهيرية والشخصية" ²

ومنهما العامل السياسي الذي دفع الفاعلين في هذا المجال إلى توظيف ما توفر وأمكن من وسائل الإعلام ذات التأثير لتسويق البرامج السياسية، وإقناع الجماهير بأطروحاتهم في الإصلاح والتغيير، أو لإحكام القبضة والحفاظ على الوضع السياسي أو تغييره، في عالم شديد الاضطراب والتحول، والتداخل في عوامل التأثير المحلي و الإقليمي والعالمي.

كما ساهم العمل الاقتصادي بدور كبير في انتشار هذا النوع من الإعلام وامتداده، وذلك استجابة لحركة المال والسلع المتسارعة، والعبارة للحدود مع عبور الشركات المتعددة الجنسية، مما "جعل عولمة نظم الإعلام والاتصال هي وسيلة القوى الاقتصادية لعولمة الأسواق وتنمية النزعات الاستهلاكية من جانب، وتوزيع

¹: مجلة جامعة دمشق - المجلد - 26 العدد الأول/الثاني 2010 سميرة شيخاني، 422.

²: مجلة جامعة دمشق - المجلد - 26 العدد الأول/الثاني 2010 سميرة شيخاني، 423.

سلع صناعة الثقافة من موسيقى وألعاب وبرامج تلفازية من جانب آخر.³

وقد أصبح هذا النوع من الإعلام جزءاً لا يتجزأ من الحياة اليومية للكثير من الناس، ويعتبر أداة مهمة في أيدي المتعاملين مع الخبر، حيث أصبح كل من يمتلك هاتفاً متطوراً موصولاً بالإنترنت صحافياً وفاعلاً سياسياً، ومؤثراً في صنع الحدث، وقد بدأ هذا النوع من التواصل كمشروع قامت به وكالة مشاريع البحوث المتقدمة التابعة لوزارة الدفاع الأمريكية في السبعينيات لربط المئات من أجهزة الكمبيوتر بشبكة تعرف باسم اربانت ARPANET. وكان الهدف من المبادرة إيجاد وسيلة اتصال وتواصل بين الباحثين والمسؤولين الحكوميين في حالة وقوع هجوم نووي.

وحتى الثمانينات لم تكن هناك أية مواقع إلكترونية. كان تداول المعلومات من خلال النص وتطبيقات بروتوكول نقل الملفات (PTF) فقط. بعد ذلك، تم إنشاء النص التشعبي للغات الرموز المعروف باسم (HTML) لجعل الاتصال بين العلماء أسهل. وقد أتاح (HTML) سهولة عرض النص، والصور، والجغرافيا على نفس الشاشة، وأتاح للمستخدمين سهولة التنقل من صفحة إلى أخرى عن طريق الروابط.⁴ وتتصدر مواقع الشبكات الاجتماعية الإقبال في شبكة الإنترنت لما توفره من تفاعلية أكبر بن الأطراف الناشطة فيها، خاصة وأنها تجمع بين ذوي الاهتمامات المشتركة بغض النظر عن القرب الميكانيكي، ولما تحققه من تفاعل في مختلف المجالات الفكرية والثقافية والسياسية، ولاعتبارها أدوات تلعب دوراً مهماً في الحشد والتعبئة إلى جانب التواصل وتبادل الأفكار والنقاش، وازدادت أهميتها مع ما عرفته المنطقة العربية من أحداث كبيرة سقطت معها أنظمت وتشكلت أخرى، حيث كان لهذه المواقع دوراً هاماً في حشد الرأي الشعبي ضد أنظمة واتجاهات سياسية، وساهمت في إعادة تشكيل الخارطة السياسية العربية، بل وأصبحت مصدراً موجهاً للأنظمة الإعلامية التقليدية، ومزوداً لها بالمعطيات والأخبار والمعلومات، وأصبحت مصدراً منافساً لها في تقديم الخبر، والتحليلات المصاحبة له، بل أصبحت مصدراً لتقديم المتعة واللهو والاحتياجات الاقتصادية والاجتماعية المختلفة التي كانت محصورة في المؤسسات الإعلامية والاقتصادية والاجتماعية

³: المرجع نفسه، ص: 444.

⁴: ورقة حول الصحافة الإلكترونية بالمغرب، إعداد المصطفى اسعد. ص: 03.

التقليدية، وهو ما جعل منها مصدراً مؤثراً وموجهاً، بل ومؤسساً لمنظومة قيم جديدة تتجاوز الحدود الثقافية والجغرافية المحصورة في نطاق جغرافي محدد.

2: الإعلام ومنظومة القيم:

للإعلام علاقة وطيدة بمنظومة القيم، باعتباره أداة أساسية في نقل أنماط الفكر والسلوك في المجتمع، والثقافة السائدة فيه، فهو يساهم ويؤثر بشكل كبير في بنية المجتمع ووظيفته ومؤسساته، وفي شبكة علاقات أفراد وهيئاته، ويساهم في إكساب أفراد المجتمع قيماً جديدة، أو التخلي عن القيم السابقة أو تعديلها وتطويرها، بل أصبح مؤسسة تربوية وتعليمية تنافس المؤسسات التقليدية في التربية على القيم والتنشئة عليها، وتعتمد المؤسسات الإعلامية التقليدية والحديثة على وسائط متنوعة في تواصلها، وقضايا مختلفة في برامجها، تحمل في طياتها رسائل ومضامين ثقافية تزرع بذور القيم التي تهدف إلى تحقيقها وترسيخها في جمهور المشاهدين، وتركز في الأغلب على فئات خاصة في المجتمع، تتقدمها فئة الشباب والأطفال والنساء، ليس التأثير فيها، وتوجيه اختياراتها وميولاتها وتفضيلاتها، وعلى برامج محددة تجذب الإقبال لتركيزها على قضايا الشهوة والاستهلاك في الواقع الاجتماعي والاقتصادي.

خاصة وأن هذه الوسائل لم تعمل على إعادة تشكيل المعرفة المنقولة في إطار القيم المرجعية للمجتمعات العربية والإسلامية، كما حدث " قديماً تجاه اليونان فالعرب ترجموا الثقافة الإغريقية أيام إسحاق بن حنين فكانوا " ذوات " ناقله فقط، ولكن بعد ذلك بفترة قليلة جاء الكندي وبدأ الإبداع والإنتاج الذاتي المستقل عن اليونان، فالكندي ترجم الثقافة اليونانية ولكن بوصفه " ذاتا " عاقلة ومبدعة وليس بوصفه ذاتاً ناقلة ومقلدة، ومع هذا الأخير، أي الكندي، لم تعد الثقافة اليونانية مصدراً للثقافة العربية بل تحوّلت الثقافة اليونانية الإغريقية إلى موضوع كباقي الموضوعات والمنابع في ذلك الوقت " 5.

بل عملت هذه الوسائل على استهلاك المعلومة ومضامينها كما تم استرادها، دون عرضها على منظومة

⁵: نصر بوعلي، المستقبل العربي، مفاهيم نظرية الحتمية القيمية في الإعلام (*) عند عبد الرحمن عزي: مقاربة نقدية، عدد : 422 / أبريل 2014. ص: 91.

القيم المرجعية، والثوابت العقدية، والهوية الثقافية للمجتمع، وهو ما أفرز منظومة قيم هجينة، تمثلها شباب المجتمعات العربية، ستعمل المحاور القادمة على الوقوف عند بعضها، مع بيان انعكاساتها وآثارها في سلوك الفرد ووظيفته، وفي بنية المجتمع وبنائه.

أ: الإعلام وقيمة العلم:

أتاحت وسائل الإعلام الرقمي إمكانات هائلة للبحث العلمي، والتوصل إلى المعلومة بسرعة قياسية، وفي مختلف مصادرها، التي أصبحت مادة ميسرة في شكل مكتبات كاملة مصورة، ومقالات ودراسات وبحوث علمية أكاديمية عدة، ومواقع تعليمية كثيرة، بل ووفرت فرص للدراسة الأكاديمية في معاهد ومؤسسات علمية عالمية متخصصة في شتى أصناف العلوم والمعرفة، وفتحت آفاق كثير لتطوير البحث وتجويده بما يتناسب مع سرعة التحولات التي يعرفها الواقع في مختلف المجالات، وهي إيجابيات كثيرة، وغيرها كثير، تختلف باختلاف طلبات الإقبال على هذه المواقع، والتي تتغير حسب حاجة المقبل عليها، ما بين حاجات اجتماعية وحاجات اقتصادية وأخرى تواصلية ومعرفية..

غير أن تتبع استعمالات الشباب للإعلام الرقمي يكشف عن حجم الضياع والتبذير الخطير للطاقات والجهود والأوقات في مواقع وفضاءات لا تبني معرفة، ولا تكسب علما، بل تدمر القيم والأخلاق، وتشجع على الكسل، خاصة أمام تنامي ظاهرة السرقات العلمية للمواضيع والأفكار والمعطيات التي أصبحت ميسرة في العالم الرقمي، وأصبحت جاهزة للنقل والطبع مع شيء من التصنيف والتعديل لكي تصبح جاهزة للعرض، وهو ما تؤكد معطيات كثيرة صادرة عن مصادرة مختلفة في هذا الباب، تبين أن استعمالات الشباب لفضاء الانترنت يتمركز في فضاءات التواصل الاجتماعي، ومواقع التسلية والإباحية، بينما يقل ارتيادهم للمواقع العلمية التعليمية.

كما تثبته تجرّبي العملية في مجال التعليم والتدريس، حيث أغلب المعطيات والمواضيع التي تطلب من المتعلمين، يتم اقتباسها من الإنترنت دون بدل عناء في فهمها، وإعادة تلخيصها أو استخلاص الأفكار

الواردة فيها، فضلا عن عدم ذكر مصدرها وأصحابها.

كما أن إقبال الشباب الكبير على مواقع التواصل الاجتماعي يبين طبيعة المعرفة التي يتفاعل معها الشباب، والتي يستهلكها ، ويبنى معارفه وتصوره ورؤيته للحياة والعلاقات بناء عليها، وهي المعارف التي لا تتعدى الأسطر التي تحملها سطرين أو ثلاث، فإذا تعدت ذلك أصبحت في عداد المهملات، فضلا عن الساعات الطوال التي يقضيونها أمام هذه الصفحات، والتي لا تقل عن الثلاث ساعات في المتوسط، مما ينبئ عن حجم العجز الكبير عن الذي تخلفه هذه المواقع على قدرة الشباب في الإقبال على القراءة، وعلى علاقتهم بالمصادر العلمية البانية للعلم والمعرفة، التي قد لا تتجاوز الاطلاع على العناوين وأسماء كتابها، وفي حالة الاجتهاد قراءة المقدمة وبضع ورقات منها، كما ينبئ عن الاستغلال السيئ لأوقاتهم، وتبذيرها فيما لا يعود عليهم بالنفع في بناء معارفهم وترسيخها وتعميها، وتقوم مناهجهم في الفكر والنظر.

ب: الإعلام وقيمة الاعتدال:

يعتبر الإعلام الرقمي أحد المصادر الأساسية في بناء المعرفة الدينية لدى الكثير من الشباب، وهي ظاهرة رغم نفعها الذي لا ينكر في التعرف على حقائق الدين ومعارفه وتعاليمه، فهي تولد العديد من مظاهر السلوك المتطرف، والتي تعود لاختلاف زوايا النظر والاجتهادات المذهبية، ولاختلاف الواقع والأحداث العملية التي لها دور في فهم النص الشرعي وحسن تنزيله، فكثير من الخطابات تزل الطريق لجهلها بأحوال الناس، وتنحرف عن السداد لعدم مراعاتها لأعراف الناس واختلاف عاداتهم باختلاف بيئاتهم العامة أو الخاصة، فخطاب أهل المغرب ليس الخطاب المناسب لأهل المشرق لاختلاف العادات والأعراف والتحديات، بل خطاب الشباب ليس الخطاب المناسب لمخترفي النجارة أو الحدادة أو غيرها من فئات المجتمع، ولعل هذا ما جعل علماء الإسلام يضعوا ضمن أصولهم في استنباط الأحكام، أعراف الناس وعاداتهم التي لا تحل حراما ولا تحرم حلالا، فكانوا أكثر ارتباطا بواقعهم وبيئتهم، يقدمون الإجابات الشرعية، المناسبة للنوازل الحادثة، ولا يقتصرون على الأحكام النظرية المستمدة من ظواهر النصوص وألفاظها، ويستمد هذا الأصل في الشريعة الإسلامية قوته وأساس إلزاميته من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، فقد جاء في:

كتاب الله: قوله تعالى: {خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين} سورة الأعراف: آية: 199.

وقوله تعالى {ومن كان غنيا فليستعفف، ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف} سورة النساء، آية: 6.

ومما يعتمد أساسا في هذا الباب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه البخاري عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت "قالت هند أم معاوية لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أبا سفيان رجل شحيح فهل علي جناح أن أخذ من ماله سرا؟ قال: خذي أنت وبنوك ما يكفيك بالمعروف". (رواه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع)

هذه الأصول تم اعتمادها في إثبات إلزامية وحجية العرف كمصدر من مصادر التشريع. وأصل من أصول الاستنباط يعتمد حيث لا يوجد نص شرعي من كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فاتسع

مجاله لحركية الحياة وتعدد أحداثها، ولمرونة الشريعة وتماشيها مع مصالح الخلق في الحال والمآل، تجلّى ذلك في نتاجات المذاهب الفقهية التي قعدت قواعد في هذه المسألة ففي المذهب الحنفي يقول السرخسي " الثابت بالعرف كالثابت بالنص

وفي المجلة العثمانية عوائد عامة تؤكّد حجّية العرف ومجالاته فمنها:

- "العادة محكمة" مادة: 36

- "استعمال الناس حجة يجب العمل بها" مادة: 37

- "المعروف عرفا كالمشروط شرطا" مادة: 43.

: "المعروف بين التجار كالمشروط بينهم" المادة: 44.⁶

وفي المذهب المالكي جاء عن ابن العربي في شأن أهمية العرف "إن ما جرى به العرف فهو كالشرط حسبما بيناه في أصول الفقه من أن العرف والعادة أصل من أصول الشريعة يقضي به في الأحكام"⁷

هذا شريطة أن يكون العرف طبعا مستقر في النفوس من جهة العقول وتلقته الطباع السليمة بالقبول ولا يخالف نصا شرعيا صريحا.⁸

فيكون الاعتماد على الإعلام الرقمي في بناء المعارف الدينية دون تكيفها مع معطيات الواقع المحلي، وأحداثه وتحولاته طريق للانحراف في الفهم، ومنه في التطبيق والسلوك والعلاقة، وقد عانت المنطقة العربية والإسلامية نتيجة الفهم المنحرف للدين كثيرا، وعرفت أزمات اجتماعية عدة بسبب ذلك، حيث ظهرت حالات من التطرف الناتجة عن الفهم المتنوع لنصوص الدين، والجهل بمقاصده، وبأحوال الواقع ومتغيراته.

⁶ نظرية الأخذ بما جرى به العمل في المغرب، في إطار المذهب المالكي إعداد: الأستاذ عبد السلام العسيري، المملكة المغربية وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط: 1417هـ/1996م، ص: 267.

⁷ المرجع نفسه، ص: 268.

⁸ أنظر: التعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، تحقيق جماعة من العلماء بإشراف دار الكتب العلمية، ط: 1403 / 1983، ج:1، ص: 130.

ونتيجة للتحويلات المعاصرة الكبيرة التي تعرفها المنطقة العربية في وضعها السياسي، بسبب ما عرف بربيع الثورات، ظهرت تحديات عدة عمقت الكثير من المشاكل التي كانت قائمة، وساهمت في ولادة أخرى، ولعل من أبرزها ظهور تنظيمات وجماعات تدعي الجهاد، وتنسب نفسها للإسلام، وتأصل لممارستها من نصوص الشرع، عرفت امتدادا وتوسعا سريعا، واستقطبت المئات من الشباب من مختلف البلدان العربية والإسلامية، ومن مختلف القارات.

جماعات تحمل فكريا متطرفا يناقض قيم الإسلام، وتسيء إلى نفسها، وتفسد في الأرض، خرجت عن سنة الاعتدال إلى الإسراف والظلم والاعتداء، وتشويه صورة الإسلام، والتنطع في تطبيق تعاليمه وتنزيل أحكامه، في جهل تام لمقاصده، ومعطيات الواقع ومستجداته.

وقد ساهم في هذا الانتشار الملفت لهذه التنظيمات الكثير من العوامل المتداخلة بين المحلي والإقليمي، والسياسي والاجتماعي، والثقافي والاقتصادي، فضلا عن التحويلات التي عرفتها هذه التنظيمات تنظيرا وممارسة.

ومن أهم هذه العوامل، الثورة التي عرفها الإعلام وفي مقدمته الإعلام الرقمي، الذي مكن هؤلاء الشباب من إمكانات معرفية لم تكن لسابقيهم، ومعطيات كانت حصرا على دوائر ضيقة، وتقنيات كان محضورا العلم بها، وصور وأحداث عن حالات الظلم التي يتعرض لها العالم الإسلامي في وقتها، حيث أضحت تنقل لحضة حدوثها، فضلا عن حالات الانكسار والردة على خيارات الشعوب، وتواطؤ الغرب والشرق على إجهاض أحلام الشعوب التواقفة للعدل والحرية، كما مكنهم هذا الإعلام من القدرة على التواصل العابر للقارات مع التنظيمات التي توظف الشباب في جبهات القتال، ومن التخطيط الغير المقيد بالبعد الجغرافي، فكانت بذلك الأداة الرقمية وسيلة التواصل الميسرة لعملية التنسيق والترتيب لعملية الخروج والالتحاق بجبهات القتال، أو لارتكاب جرائم في مناطقهم بتوجيه وتوظيف من مراكز قرار أخرى، وساهم في تيسير ذلك كله ما تعرفه العديد من البلدان العربية والإسلامية من أزمت، وما يعيشه الكثير من هؤلاء الشباب من ظروف اقتصادية واجتماعية مزرية.

ج: الإعلام وقيمة التواصل:

الأصل في الإنسان أنه اجتماعي الطبع فطرة وعقيدة، فالإنسان يميل بطبعه للتعايش والتآلف والتواصل، والدعوة للتعارف والتواصل مقصد من مقاصد هذا الدين، وسبب من أسباب خلق الله تعالى الناس مختلفين، لقوله عز وجل " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عن الله أتقاكم" بل الإسلام يحث على الصلة والتواصل خاصة مع الأقارب والرحم، وأمر بذلك، ورتب عن تركه أحكاما قاسية، يقول الله تعالى " والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب " البقرة 61. وقوله تعالى " فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم" محمد 23. ويقول النبي صلى الله عليه وسلم مبينا أهمية الصلة، وفضلها " من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه" متفق عليه.

والصلة أشكال وطرق متعددة، قلت المباشرة منها مع ثورة التقنية الحديثة، بل اتجه بعضها إلى الانقراض نتيجة ما أتاحتها وسائل الاتصال الرقمي الحديث من إمكانات عديدة للتواصل عن بعد، تواصل تقل فيه فرص التراحم، والتعاون والتبادل الوجداني الذي لا تغني عنه الصور والكلمات التي ينقلها الأثير، بل ظهرت العديد من العادات في الأسر، حيث الاجتماع قائم تحت نفس السقف، وفي نفس الفضاء، بل وفي نفس الطاولة، لكن العقول والفكر والتفاعل يتم في عالم الافتراض، إذ تجد الأسرة كلها أو أغلبها يتفاعل في عالمه الافتراضي، ما يقلل فرص التواصل العائلي، ويضعف دور الأسر في التربية والتوجيه والتأطير لأعضائها، ويربي على قيم الانعزال الوجداني والفكري، والانغلاق بالذات عن الأسرة، وهو الذي قد يسبب العديد من العادات والتصرفات السلبية داخل الأسر، بل قد يساهم في تربية النشأ على قيم بعيدة عن قيمه المرجعية وثقافته الاجتماعية، كما قد يولد لديه حالات مرضية مختلفة، فقد أشار فريق بحثي " أمريكي من جامعة يونغ بريغهام أن قضاء وقت سعيد مع الأهل والأصدقاء يقلل من خطر الموت المبكر بنسبة 50%، وصرح أعضاء الفريق أن العلاقات الاجتماعية القوية مفيدة للصحة مثل التوقف عن التدخين حيث أن ضعف العلاقات الاجتماعية يوازي تدخين 15 سيجارة في اليوم، وأن تراجع الحياة

الاجتماعية يعادل المعاناة من إدمان الخمر ، وتأتي أهمية العلاقات الاجتماعية أنها تزيد في صحة الإنسان أفضل من اللقاحات التي تمنع الإصابة بالمرض ، ذلك أن الإنسان خلق كي يعيش مع غيره وان عزله عن الناس تسبب له أمراض نفسية وصحية"⁹

فالإدمان على العالم الرقمي يجرد الإنسان من أهم خصائصه الاجتماعية، ويعزله عن محيطه الواقعي، ويجعله يعيش حالة انفصام بين الواقع والافتراض، بل قد ينعكس ذلك حتما في علاقاته الاجتماعية الواقعية التي تفتقر كلما ازدادت ساعات ارتباط الشاب بعالم الافتراض، وتتعرض قدراته التواصلية، فيعود ذلك عليه بالفشل في حياته الواقعية، والانعزال عنها، فتتعطل قدرات الشاب، ووظيفته في الحياة.

خاتمة:

أثبتت محاور الدراسة الأهمية البالغة التي أضحت تحتلها وسائل الإعلام عامة، والرقمي منها خاصة في تشكيل منظومة القيم وتوجيهها، وإعادة ترتيب الأدوار الاجتماعية، بل والمواقف السياسية، والأطراف الفاعلة في المجتمعات في مختلف المجالات، أهمية تتنامى مع التطور التقني المتسارع الذي يعرفه العصر الحديث، ما يفرض تركيز البحث والتوجيه بما يساعد على توظيف هذه الوسائل في تنشئة الشباب على القيم الحافظة والبانية، والمؤسسة لثقافة العطاء، والاجتهاد، والاعتدال، والتواصل مع مختلف فئات المجتمع، وبما يحقق الاستقرار والاستمرار في إنتاج الخير وتعميمه بين الناس.

⁹: التكنولوجيا وضعف العلاقات الاجتماعية في الأسرة، أسباب وحلول، عباس السبتي. مقال منشور بموقع " مركز المشاوي للدراسات والبحوث بتاريخ 02 / 04 / 2012.

لائحة المراجع

1. ورقة حول الصحافة الالكترونية بالمغرب، إعداد المصطفى اسعد. ص: 03.
2. نظرية الأخذ بما جرى بع العمل في المغرب، في إطار المذهب المالكي إعداد: الأستاذ عبد السلام العسيري، المملكة المغربية وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط: 1417هـ/1996م.
3. التعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، تحقيق جماعة من العلماء بإشراف دار الكتب العلمية، ط: 1403 / 1983، ج:1.
4. التكنولوجيا وضعف العلاقات الاجتماعية في الأسرة، أسباب وحلول، الباحث التربوي، عباس السبتي. مقال منشور بموقع " مركز المشاوي للدراسات والبحوث بتاريخ 02 / 04 / 2012.
5. مجلة جامعة دمشق – المجلد – 26 العدد الأول / الثاني 2010 .
6. مجلة المستقبل العربي، مفاهيم نظرية الحتمية القيمية في الإعلام (*) عند عبد الرحمن عزي: مقارنة نقدية، عدد : 422 / أبريل 2014.